

العقيدة المسيحية

الأب سامي حلاق اليسوعي

البلاط السماوي. أيقونات المسيح، العذراء مريم، الملائكة

ط. ١، ١٧٢ صفحة، بيروت - لبنان: دار المشرق، ٢٠٢٥

ISBN: 978-2-7214-5693-9

إنَّه كتابٌ جديد للأب سامي حلاق اليسوعي الذي نُشر له في العامَين الأخيرَين مؤلَّفاتٌ أربعة: "ديونيسيوس الأريوباغي: التراتبية السماوية في الملائكة"، "اللاهوت والجمال"، "يهوذا الإسخريوطي في عشرين قرنًا"، و"دليلك لفهم الأيقونات".

يتألَّف الكتابُ من قسمَين كبيرَين: يشمل الأولُ فصلَين، عن أيقونات "المسيح الضابط الكلّ" و"العذراء مريم مع طفلها"، وهو إعادة طبع لكُتَيَين سابقَين أُدخل عليهما بعضُ التنقيحات؛ ويشمل الثاني أيضًا فصلَين، عن "علم الملائكة" في الكتاب المقدَّس والتقليد الأبائي واللاهوتي وعن أيقونات الملائكة؛ وهناك فصل أخير تطرَّق فيه إلى التبادل الثقافي بين الشرق والغرب في الإيقونوغرافيا.

تناول في الفصل الأول (ص. ١١-٤١) موضوعاتٍ كثيرة عن أيقونة يسوع الضابط الكلّ (Παντοκράτωρ, Pantokrátor)، كاختلاف إشارة الصليب، فمنهم من رسم المسيح يبارك بالسبابة تأكيدًا على وحدانية الله واعترافًا بسلطة ابن الله، ومنهم من رسمه يبارك بإصبعين دلالةً على طبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية؛ واختلاف أبعاد الجسم والرأس، فالبيزنطيون رسموا الأجسام الممطوطة تعبيرًا عن ارتقاء الفكر والعقل والقلب نحو السماء، والسرّيان رسموا الأجسام القصيرة مع الرؤوس الكبيرة تعبيرًا عن تفوّق الروح على الملذّات الدنيوية (ص. ٢٥). كما توقّف عند أنماط أيقونات المسيح كأيقونة الصلاة (Δέσις, Déisis)، المسيح عظيم الكهنة، الحكمة الإلهية، إلخ.

تناول الكتاب في الفصل الثاني (ص. ٤٣-٧٤) أيقونات العذراء مريم والطفل في الفن البيزنطي، وهي التي تُوضع دومًا مع أيقونة المسيح الضابط الكلّ على قائمتي الباب الملكي للإيقونسطاس. وقد توسّع في لاهوت مريم من خلال كتابات آباء الكنيسة والنقاشات المجمعية، شارحًا بعضًا من تلك

الأيقونات المتنوعة كأيقونة صاحبة الجلالة (Κυριώτισσα, Kyriotissa) والمُرشدة (Ὁδηγήτρια, Odighitria) والمتضرّعة (Πλατυτέρα, Platytera) التي ترفع راحتَيْها نحو السماء، والأُم الحنون (Ἐλεούσα, Éléousa) التي تُظهر العلاقة العاطفيّة الحميمة التي تربطها بابنها، إلخ.

وتعمّق في الفصل الثالث (ص. ٧٥-١٠٨) بالأسس الكتابيّة واللاهوتيّة عن الملائكة. في الكتاب المقدّس، هم كائناتٌ روحيّة خلقها الله لخدمته، يحملون رسالةً إلهيّة. ومن آباء الكنيسة، تناول ديونيسيوس الأريوباغي مسألة الملائكة في كتابه التراتبيّة السماويّة، فأورد خلقهم وأنواعهم وتراتبيتهم ووظائفهم. وتطرّق في الفصل الرابع (ص. ١٠٩-١٤١) إلى سمات إيقونوغرافيا الملائكة (الجنس، الجسد، الملابس، الأدوات، التراتبيّة، ...)، مؤكّداً أنّ غياب التفاصيل في الكتاب المقدّس وتضارب آراء آباء الكنيسة بشأنها كانا فرصة سانحة لإبداع أكثر حرّيّة عند مُصمّمي الأيقونات.

استطرد في الفصل الخامس والأخير (ص. ١٤٣-١٦٨) في موضوع حركة التبادل المعرفيّ بين الفنّين الشرقيّ والغربيّ، ففيما استقرّت الأيقونة البيزنطيّة بمثابة النموذج الأوّل للفنّ المسيحيّ في بداية الكنيسة، تسرّب التأثير الغربيّ انطلاقاً من القرن الثالث عشر، وقد ظهر الأمر من خلال أيقونات الإفاخرستيا أو الملاك الحارس على سبيل المثال.

الكتاب غنيّ وعميق في المعلومات، وسهلّ في القراءة. جال فيه الأب حلاق بالتاريخ وحيثيّات الكتاب المقدّس وآراء آباء الكنيسة والروحانيّة والفنّ مُظهرًا الدائرة الجدليّة التي تربط بين عالم الأيقونات وعلم اللاهوت، إذ كلاهما يمنحان المعرفة الروحيّة ويهدّبان النفس ويدعوان إلى الترقّي في الإيمان.

وردت فكرة في الكتاب تكشف عن تنوّع المواقف في عالم الإيقونوغرافيا، وبالتالي تنوّع المُقاربات اللاهوتيّة. اختلف آباء الكنيسة بشأن ملامح يسوع الخارجيّة، فأعلن فريقٌ أوّل أنّه كان بشعاً استناداً إلى نبوءة أشعيا عن العبد المتألّم ورغبةً في التحرّر من الثقافة اليونانيّة التي قدّرت الجمال الماديّ والجسديّ، وأكّد فريقٌ ثانٍ أنّه كان جميلاً اعتقاداً منه بأنّ التناسق الخارجيّ إشعاعٌ للجمال الروحيّ، وربط الفريق الثالث جمال المسيح أو بشاعته بالناظر إليه. ففيما لاقى الموقف الثاني رواجاً في الفنّ البيزنطيّ، أناصر شخصياً الرأي الأخير... ولكن كيف يمكن أن يتبدّل الوجه المرسوم بين مُشاهِد وآخر؟

الأب غي سركيس*

* الأب غي سركيس: حائز درجة الدكتوراه في اللاهوت من الجامعة اليسوعيّة الغريغوريّة الحبريّة (روما). أستاذ محاضر في جامعتي القديس يوسف، والحكمة. وهو كاهن في أبرشيّة بيروت المارونيّة. له مجموعة من المؤلّفات الدينيّة والتأمليّة والفكرية في اللاهوت المسيحيّ، وحوار الأديان والحوار الإسلاميّ المسيحيّ، وبعضها من إصدار دار المشرق (نوبل للسلام... لمن؟، أؤمن... وأعترف، قراءة معاصرة في الإيمان المسيحيّ، وإيمان في حالة بحث - النشاط اللاهوتيّ في المسيحيّة، ودروس من الهرطقات).

grsarkis@gmail.com

